

قيم الوقف والنظرية المعمارية – صياغة معاصرة

د. نوبي محمد حسن

أستاذ مشارك بقسم العمارة وعلوم البناء
كلية العمارة والتخطيط – جامعة الملك سعود – الرياض

٣٠٠٠nouby@yahoo.com : بريد إلكتروني

بحث منشور في: مجلة أوقاف، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، العدد ٨، مايو ٢٠٠٥ م.

ملخص

العلاقة بين الوقف وحركة العمارة والعمران في المدينة الإسلامية علاقة قديمة وفاعلة، لعب فيها الوقف دوراً مهماً في تحقيق بيئة عمرانية سليمة وفرت احتياجات المستخدمين بدرجة عالية من الكفاءة. إلا أن الملاحظ في العصر الحالي وجود قصور في المباني ذات الاستخدام العام؛ يتمثل في قلة هذه المباني، بجانب سوء الحالة المعمارية لبعض الموجود منها؛ بسبب قلة الموارد التي يمكن الصرف منها على إنشاء هذه المباني وصيانتها. ويرى البحث أن إحياء الوقف من شأنه أن يؤدي دوراً في إنشاء وتحسين وظيفة المباني العامة والحفاظ على كيانها المعماري (المادي والجمالي). لذا فإن هذا البحث يحاول توضيح العلاقة التاريخية بين الوقف والنظرية المعمارية (بكونها شاملة لجوانب معمارية عديدة)، وبيان الكيفية التي قام بها الوقف بدوره الفاعل في تحقيق الجوانب المختلفة للنظرية المعمارية والحفاظ على الكيان المعماري للمباني الموقوفة وبالتالي تحقيق بيئة عمرانية سليمة. ومن ثم يحاول البحث طرح الصياغة المعاصرة التي يمكن من خلالها عرض بعض الأسس التي تساهم في إعادة إحياء دور الوقف في مجال العمارة من خلال إحياء دوره في تحقيق مختلف جوانب الحياة ويعرض البحث للطرح الكويتي المسمى بصناديق الوقف. ويتم تحقيق أهداف الدراسة من خلال دراسة العلاقة بين القيم التي ينطوي عليها الوقف وبين مكونات العمارة للنظرية المعمارية، ليكون إحياء الوقف شاملاً لا كل هذه المكونات.

١ - المقدمة: إشكالية البحث، وفرضية الدراسة، والمنهجية البحثية المستخدمة في الدراسة

١ إشكالية البحث - ١

تدور إشكالية هذه الدراسة في إطار غياب دور الوقف الفاعل في المساهمة في تحقيق الجوانب المعمارية السليمة للبيئة العمرانية، ويمكن فهم هذه الإشكالية من خلال بعدين: البعد الأول: قصور في تحقيق النظرية المعمارية (الحالة غير الملائمة للمباني الخدمية العامة) فالعلاقة بين الوقف وبين توفر هذه النوعية من المباني علاقة فاعلة ساعدت الوقف من خلالها في ازدهار هذه المباني، كما ارتبط وجوده بوجودها، ويمكن أن نلمس ذلك من خلال ما قاله ابن خلدون حين أعاد السبب إلى وجود الوقف في ازدهار العلم في الشرق وتراجعته في الغرب بسبب غياب الوقف أو ما أسماه "سند العلم" وأكد ذلك حين قال في حديثه عن أهل المغرب: "وما آتاهم القصور إلا من قبل التعليم وانقطاع سنده" في حين تحدث عن مصر قائلاً: "أن العلم والتعلم إنما هو بالقاهرة من بلاد مصر.. فاستكثروا من بناء المدارس والزوايا والربط ووقفوا عليها الأوقاف المغلة.. فكثر الأوقاف لذلك وعظمت الغلات

٢

والفوائد وكثر طالب العلم ومعلمه بكثرة جرايتهم منها وارتحل إليها الناس في طلب العلم" [١].

وإذا كانت الجهات المسؤولة قد أخذت بمبدأ قيام الدولة بتوفير المباني ذات الاستخدام العام (المدارس والجامعات والمستشفيات والمراكز الصحية والمكتبات العامة وغيرها)، فإن الملاحظ وجود قصور في عدد هذه المباني بما يتوافق مع الزيادة في عدد المستخدمين لها، بجانب القصور في تجهيزاتها المختلفة لكي تناسب أغراضها الوظيفية، مع سوء الحالة البنائية لبعض المنشآت منها؛ بسبب قلة الموارد اللازمة للصرف على تجهيزها وصيانتها وترميمها. وبالتالي عدم تحقيق جوانب النظرية المعمارية في العمارة المعاصرة.

البعد الثاني: الفهم الأحادي للعلاقة بين الوقف والعمارة

وهو ما يعني أن النظرة إلى هذه العلاقة تقتصر على فهم دور الوقف في توفير المباني كمحيط مادي تدور فيها الأنشطة الحياتية المختلفة. وبالتالي عدم النظرة إلى العلاقة نظرة شمولية تنبع من فهم القيم الكامنة في الوقف وفهم مكونات المبنى وفقاً للنظرية المعمارية

الشاملة، وبالتالي التعرف على العلاقة بينهما بشكل دقيق.

٢ فرضية الدراسة - ١

يفترض البحث أن نظام الوقف يمكنه المساهمة في حل بعض المشكلات التي تعاني منها البيئة العمرانية الحالية، بجانب جعل المباني الخدمية العامة قادرة على تحقيق تطلعات المستخدمين وتشبع حاجاتهم المختلفة، ويمكن فهم هذه الفرضية من خلال ثلاثة مكونات هي: المكون الأول: أن دور الوقف لم يتوقف عند جانب واحد من مكونات العمارة بل امتد إلى المكونات الثلاثة (المنفعة والمتانة والجمال).

المكون الثاني: أنه وإن كانت الظروف والمستجدات الحالية قد سببت تغييب دور الوقف فيما قدمه للعمارة في العصور التاريخية القديمة للعمارة الإسلامية، فإن الوقف مازال قادرًا على أن يلعب نفس الدور لقدرته على التكيف مع المستجدات المختلفة.

المكون الثالث: أنه يمكن التوصل إلى صيغ جديدة للوقف تناسب دوره المعاصر في مجال العمارة.

٣ المنهجية البحثية المستخدمة في الدراسة - ١

اعتمد البحث على المنهج التحليلي (كمنهج أساسي)، والمنهج الوصفي التاريخي (كمنهج مساعد)، لبيان العلاقة التاريخية الفاعلة بين الوقف وبين مكونات العمارة، وذلك من خلال دراسة إمكانية ربط القيم الثلاثة المستخلصة لمنظومة الوقف بالجوانب الثلاثة المكونة للعمارة وفقًا للنظرية المعمارية.

وللتحقق من الفرضية والتوصل إلى أهداف البحث فقد قام البحث - وفقًا للمنهج البحثي المستخدم - بالخطوات التالية:

١- التعرف على القيم الكامنة في الوقف، كونه مما دعت به الشريعة الإسلامية.

٢- بيان مكونات العمارة من خلال النظرية المعمارية بوصفها موجهًا للفكر المعماري.

٣- تحليل العلاقة التاريخية الفاعلة بين قيم الوقف ومكونات العمارة.

٤- عرض لمحاولة يمكن أن تصلح كصياغة معاصرة لدور الوقف في خدمة مكونات العمارة وتحقيق بيئة عمرانية سليمة.

[١] ابن خلدون، عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، ط ٥، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٢ م. ص ص ٤٣٥، ٤٣٤، ٤٣٢ [٣

٢- التمهيد: ماهية الوقف وأنواعه وقيمه، ونبذة عن العمارة والنظرية المعمارية

١ ماهية الوقف ومشروعيته - ٢

الوقف في اللغة: الحبس، يقال وقف يقف وقفًا أي حبس يحبس حبسًا. وفي الشرع: حبس الأصل وتسبيل الثمرة (المنفعة) [١]. ومعنى تحببب الأصل أي المنع من الإرث والتصرف في العين الموقوفة بالبيع أو الهبة أو الرهن أو الإجارة أو الإعارة، وما إلى ذلك من أشكال التصرف في الملك، أما تسبيل المنفعة فهو صرفها في سبيل الله على الجهة التي عينها الواقف من دون عوض [٢]. وبعد مناقشة مجموعة من مفاهيم الوقف، توصل "منذر قحف" إلى تعريف للوقف بأنه "حبس مؤبد ومؤقت، لمال للانتفاع المتكرر به أو بثمرته في وجه [من وجوه البر العامة أو الخاصة]" [٣]

وقد شرع الله الوقف وندب إليه وجعله قرابة من القرب التي يتقرب بها إليه، كما دعا إليه

[الرسول (صلى الله عليه وسلم) وحبب فيه برًا بالفقراء وعطفًا على المحتاجين] ٤

وقد ذهب جمهور الفقهاء إلى مشروعية الوقف وجوازه، وأن أصل مشروعيته ثابت في

الكتاب والسنة والإجماع [٥]. ومن القرآن نستمد مشروعية الوقف في قول الله تبارك وتعالى:

"لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون" (آل عمران: ٢٩). أما في الحديث، فعن أبي هريرة

(رضي الله عنه) أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قال: "إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله

إلا من ثلاثة أشياء: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له" [٦]. والمقصود

[بالصدقة الجارية، الوقف] ٧

وقد اختلف المهاجرون والأنصار في أول صدقة حبست في الإسلام، فقال المهاجرون

أنها صدقة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وقال الأنصار إنها صدقة رسول الله (صلى

الله عليه وسلم على ما أورده الخصاف] ٨

على أية حال لسنا بصدد إثبات أول وقف في الإسلام أو تقديم الأدلة الكثيرة على

مشروعيته في هذا البحث. ولكن ما يلزم القول به أن الوقف قد بدأ في العصر الإسلامي مع

بدء العهد النبوي في المدينة المنورة، وقد سار الصحابة على نهج الوقف، فعثمان بن عفان

(رضي الله عنه) أوقف بئر رومة، وكذلك أوقف أبو طلحة (رضي الله عنه) حدائق ببراء

وكانت أحب ماله إليه. كما يجدر الذكر بأنه لما أوقف عمر (رضي الله عنه) أرضه التي

كانت في خيبر وعندما جعل وقفه في وثيقة مكتوبة وأشهد عليها وأعلنها على الناس في

زمن خلافته ما بقي من أهل بيت الصحابة إلا وقف أرضًا أو عقارًا، وكان منهم من جعل

[لذريته نصيباً من خيرات ما أوقف، فنشأ بذلك الوقف الذري أو الأهلي] ٩

٢ أنواع الوقف - ٤

والوقف أحياناً يكون على الأحفاد أو الأقارب ومن بعدهم إلى الفقراء، ويسمى هذا بالوقف

[الأهلي أو الذري. وأحياناً يكون الوقف على أبواب الخير ابتداءً □ ويسمى بالوقف الخيري] ١٠

[١] سابق، السيد، فقه السنة، ط ١٠، ج ٣، الفتح للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٩٣، ص ٣٠٧ [

[٢] أبو المكارم، محمد أمين، الوقف والموقوف عليه من زاوية فقهية واجتماعية واقعية، مجلة الواحة، العدد ٩ [

[٣] قحف، منذر، الوقف الإسلامي: تطوره، إدارته، تنميته، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٠ م. ص ٦٢ [

[٤] سابق، السيد، مرجع سابق، ص ٣٠٧ [

[٥] الهيتي، عبد الستار إبراهيم، الوقف ودوره في التنمية، البحث الفانز بجائزة مكتبة الشيخ على بن عبد الله آل ثاني الوقفية العالمية لعام [

١٩٩٧ م، مركز البحوث والدراسات، قطر.

[٦] رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي. [

[٧] سابق، السيد، مرجع سابق، ص ٣٠٧ [

[٨] إمام، محمد كمال الدين، الوصية والوقف في الإسلام مقاصد وقواعد، ط ١، منشأة المعارف بالإسكندرية، الإسكندرية، ١٩٩٩ م. ص ٢٠٣ [

٢٢- [٩] قحف، منذر، مرجع سابق. ص ١٩ [

[١٠] سابق، السيد، فقه السنة، مرجع سابق، ص ٣٠٧ [

٤

وقد ذهب بعض المحدثين إلى أن ما كان في زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم)

والصحابية هو الوقف الخيري فقط، وأن الوقف الأهلي لم يوجد إلا في القرن الثاني الهجري،

ولكن الآثار الكثيرة التي أثرت عن عصر البعثة والصحابية تثبت أن الوقف الأهلي كان

معروفاً وأن من كبار الصحابة من وقف على أولاده (كما أسلفنا). فالوقف بنوعيه عرف في

العصر الأول للإسلام، وإن لم يكن هناك تقسيم له وتسميته بالأهلي والخيري، وإنما كانت

الأوقاف معروفة بالصدقات، ولذا كان يقال: هذه صدقة فلان، وعبرت كتب أوقاف الصحابة

[كلها عن الوقف بالتصدق] ١

٣ قيم الوقف - ٢

من خلال مفهوم الوقف وبيان أنواعه يمكن التوصل إلى فكرة بأن الوقف ينطوي على

منظومة ذات قيم ثلاثية وهي؛ قيمة الشمولية، وقيمة الاستدامة، والقيمة الروحية، الشكل رقم

(١). وباختصار فإنه يمكن توضيح كل قيمة فيما يلي: (

الشكل رقم (١). القيم الثلاثية التي تشكل منظومة الوقف

أو لا: قيمة الشمولية

أخذ العلماء بجواز وقف المنقول فأصبح جائزاً وقف كل شيء يمكن الانتفاع به مع بقاء

أصله، كذلك وقف كل شيء تعارف أهل البلد على وقفه، وأصبح ما لا يمكن أن يدخل تحت

شرط ما لا يجوز نقله، مثل المصاحف والكتب والعبيد الخ، يدخل تحت شرط وقف ما يجوز

نقله، وزاد العلماء في التوسعة على الناس وفي اتساع نظام الوقف بالتالي، فأجازوا بأن ما

يتعارف على وقفه في أي مكان بالدولة الإسلامية يجوز وقفه في أي مكان آخر بها على

[أساس أن الدولة الإسلامية وحدة واحدة] ٢

من هنا يمكن القول بأن الوقف نظام شامل، حيث يمكن إجراء الوقف على أي شيء أو

مبنى من المباني طالما أنه يؤدي وظيفة نفعية للمستخدمين الذين تنص عليهم شروط الواقف.

فمجالات النفع بالوقف - وخصوصاً مع الحياة المعاصرة - أصبحت لا حصر لها.

ثانياً: قيمة الاستدامة

يظهر من الحديث النبوي الخاص بالصدقة الجارية - والسابق ذكره - أن مفهوم الصدقة

الجارية قد تبلور لاحقاً على المستوى النظري (الفقهي) والعملي (التطبيقي) بأن الوقف يقوم

[على ركنين مترابطين] ٣

[١] الدسوقي، محمد، الوقف ودوره في تنمية المجتمع الإسلامي (القسم الأول)، سلسلة قضايا إسلامية، العدد ٦٤، وزارة الأوقاف، القاهرة، [

٢٠٠٠ م. ص ٤٥، ٤٤

[٢] أمين، محمد محمد، ازدهار الأوقاف في عصر سلاطين المماليك، دراسة تاريخية وثائقية - نموذج مصر، مؤتمر الأوقاف [

الأول في المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٢ هـ. ص ٢٥٦

[٣] الأرنؤوط، محمد، دور الوقف في المجتمعات الإسلامية، ط ١، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٠ م. ص ٣٦ [

الشمولية

الاستدامة الروحية

الوقف

٥

- التصدق أو فعل الخير للآخرين.

- استمرار العمل الخيري بشكل متواصل، وقد تبلور هذا المفهوم في الفقه الإسلامي،

وأصبح يعرف بمفهوم "التأبيد" حتى إن التأبيد أصبح يعتبر مرادفاً للوقف ولا يصح دونه.

ثالثاً: القيمة الروحية

فالوقف ببني على فعل روحاني مرتبط بالعقيدة ونيل الثواب. فكان الدافع الأسمى والأول في أوقاف المسلمين تحقيق طاعة الله والتقرب إليه سبحانه بما هو مشروع ومرضي من قبله [عز وجل] ١

ولأن الوقف بهذه القيمة الروحية المرتبطة بالخالق جل جلاله، ولأنه صدقة، فكان ولا بد من تقديم هذه الصدقة بأجمل صورها المعنوية والمعنوية الملموسة.

٤ نبذة عن العمارة والنظرية المعمارية - ٢

تأتي العمارة في اللغة بمعان عدة، منها؛ العمارة: نقيض الخراب، والعمارة: البنيان، والعمارة: البناء المؤلف من طبقات وشقق، والعمارة: عمارة الأرض وإحيائها بالبناء أو [الغرس أو الزرع] ٢

كما أن هناك مفاهيم كثيرة مطلقة داخل تعريف العمارة بأنها البنيان أو البناء، يمكن أن نفهم العمارة من خلالها؛ منها ما يعرف العمارة على أنها البيئة المادية التي نعيش فيها ونمارس من خلال مبانيها مختلف الأنشطة الحياتية، ومنها ما يتعدى التعبير المادي للعمارة إلى التعبير الروحي والجمالي والعاطفي. غير أننا نرى أن العمارة لا يمكن أن ينفصل فيها البعدين المادي والروحي، بل يجب أن يتكاملا لخدمة النواحي المختلفة للإنسان وتحقيق حاجاته، وهي النظرة التي يعتمد عليها البحث في هذه الدراسة.

وتجدر الإشارة إلى أن مفهوم العمارة الذي نغنيه في هذا البحث، ونحاول دراسة العلاقة الفاعلة بينه وبين الوقف، هو المباني المنفصلة (وليس المدن) بمكوناتها المادية والروحية.

أما النظرية المعمارية فيمكن فهمها على أساس أنها العلم الذي يحدد الأطر الخاصة بالفكر وعملية التفكير في مجال العمارة. ومنها ما هو مرتبط بكيفية بناء المباني، ومنها ما هو مرتبط بالفلسفات والرؤى المختلفة حول مكونات العمارة ودورها في خدمة البيئة والمجتمع.

ويرى البحث أنه وإن تعددت النظريات المعمارية التي يمكن رؤية العمارة والفكر

تعد من أقدم وأهم هذه Vitruvius [المعماري من خلالها، إلا أن نظرية فيتروفياس] ٣ النظريات التي سبقت العصر الإسلامي، ورغم ما يعاب على هذه النظرية من عدم توضيح الكيفية التي يتحقق بها كل شرط في العمارة، إلا أنها تشمل الجوانب الرئيسية التي تتكون منها العمارة، حيث تنص هذه النظرية على أن العمارة هي نتاج من ثلاثة مكونات هي؛ (المنفعة والمتانة والجمال، الشكل رقم ٢)

ويمكن توضيح الشروط الثلاثة لهذه النظرية المعمارية باختصار فيما يلي:
أو لا: شرط المنفعة

يعني هذا الشرط ضرورة أن تقترن المنفعة الوظيفية للموسسة بالمبنى، وبغياب هذا

الشرط تنتفي صفة الوجود للمبنى ويصبح لا يختلف عن النحت التشكيلي. فشرط المنفعة هو

[١] الساعاتي، يحيى محمود بن جنيد، الوقف والمجتمع: نماذج وتطبيقات من التاريخ الإسلامي، سلسلة كتاب الرياض، العدد ٣٩، مؤسسة اليمامة [الصحفية، الرياض، ١٩٩٧ م. ص ٥٤]

[٢] الرماني، زيد بن محمد، البطالة. العمالة. العمارة، من منظور إسلامي، ط ١، دار طويق للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠١ م، ص ١٣٠]

[٣] ظهر فيتروفياس في العصر الروماني بحوالي ١٠٠ عام قبل الميلاد.]

٦

أهم ما يميز العمارة عن بقية الفنون الأخرى، فالعمارة تنطلق منفعتها من كونها تتبني على تحقيق أغراض كثيرة للمستخدم؛ تندرج من الحماية من الظروف البيئية المحيطة به، وتحقيق الأمن والأمان النفسي والاجتماعي له، إلى إيجاد فراغات وأماكن يمارس فيها مختلف الأنشطة الحياتية.

الشكل رقم (٢). شروط المبنى الناجح وفقاً لنظرية فيتروفياس

ثانياً: شرط المتانة

يقصد بها قدرة المبنى على البقاء سليماً في مواجهة الظروف المختلفة التي يتعرض لها.

وللمتانة علاقة أساسية بمواد البناء وطرق الإنشاء المستخدمة في البناء، فبدونها لا يتجسم المبنى ولا يصبح حقيقة، وبهما تتشكل وتحدد مطالب المسقط الأفقي والاحتياجات العملية

[المختلفة] ١

ثالثاً: شرط الجمال

يتحقق في العمارة من خلال إشباع حالة المستخدم النفسية مع الأخذ في الاعتبار للكيفية التي يمكن بها استثارة حاسة الجمال. وهو قد يكون معنوي (مرتبط بالروح والعواطف)

وحسي (مرتبط بالحواس الظاهرة).

ويتحقق الجمال المعنوي من خلال القيم الروحية أو الرمزية التي تنطوي عليها فكرة

المبنى أو وظيفته أو أي شيء يدخل في تكوينه المعماري. فالإعجاب بمبنى المسجد يكون من خلال الوظيفة التي يؤديها أكثر من الإعجاب به بنا □ ء مادياً أو بالمواد الداخلة في بنائه.

بينما يأتي الجمال المرئي (الحسي) في العمارة نتيجة لعوامل كثيرة منها استعمال المواد الفخمة كالذهب والفضة والرخام والزجاج والألمنيوم والنحاس، واستخدام ألوان جميلة، [واستعمال النقوش والزخارف والإضاءة ونافورات المياه والحدائق وغيرها] ٢

٣- الدراسة: قيم الوقف والنظرية المعمارية .. علاقة تاريخية فاعلة

من خلال بيان القيم الثلاث المكونة لمنظومة الوقف، وبيان المكونات الثلاثة للعمارة، يمكننا القول بأن هناك توافقاً بين القيم الثلاث للوقف والمكونات الثلاثة للعمارة، فقد خدمت كل قيمة من قيم الوقف مكون من مكونات العمارة، الشكل رقم (٣)، وبشيء من التفصيل يمكن توضيح ذلك فيما يلي:

١ قيمة الشمولية .. وشرط تحقق المنفعة في العمارة -٣

بمراجعة الوقف وما قدمه فيما يخص الجانب النفعي الوظيفي للعمارة نجد أن الوقف قد شمل وظائف كثيرة للمباني، بل إنه أوجد في بعض الأحيان وظائف لم تكن موجودة من قبل، بالإضافة إلى ذلك فقد ساهم الوقف في قيام المباني بوظيفتها بدرجة عالية من الكفاءة.

[١] سامي، عرفان، نظرية الوظيفية في العمارة، دار المعارف بمصر، ١٩٦٦ م. ص ٢٧]

[٢] الطاهر، حكم، نظريات العمارة والتصميم المعماري (١). دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٥ م. ص ٢٣]

المنفعة

المتانة

الجمال

٧

أو لا: كثرة أنواع المباني ذات الوظائف النفعية

من الأمور التي ساعدت على تحقيق علاقة وثيقة بين الوقف والمباني سعة أفق المسلمين الأوائل في فهمهم لفلسفة الفكرة التي نبع منها نظام الوقف، وهي فكرة الصدقة الجارية. وهم لم يقصروا هذه الفكرة على مجرد إعطاء إحسانات نقدية أو عينية للفقراء وذوي الخصاصة، وإنما انطلقوا بها إلى كافة ميادين الخدمات والمرافق العامة، وحولوها إلى مؤسسات نافعة. إن أهم تنوع للأوقاف الإسلامية في أن تطبيقها التاريخي كان من حيث أغراضها، فقد تفنن المسلمون في ابتكار أغراض جديدة، قد لا تخطر على البال، مما يدل على توسع الأوقاف الإسلامية توسعاً كبيراً استوعب أو لا الأهداف القريبة المتبادرة، ثم امتد بعد ذلك إلى [أهداف من البر والخير دقيقة تفصيلية] ١

الشكل رقم (٣). العلاقة بين القيم الثلاث للوقف والجوانب الثلاثة المكونة للعمارة

وكان لانتشار الأوقاف وازدهارها في العصر المملوكي - بمدينة القاهرة على سبيل المثال - أثر كبير في تنوع ما يوقف ويوقف عليه، تنوعاً كبيراً حتى أنه كان يشمل كل شيء تقريباً، ومن أهم ما تم وقفه في ذلك العصر، الأراضي الزراعية، والمباني مثل: القصور، والدور، ومكاتب الأيتام، والخوانق، والربط، والوكالات، والفنادق، والقباسر، والخانات، والسبل، وأحواض الدواب، ومعاصر الزيت والقصب، والحمامات، والطواحين، والأفران، ومخازن الغلال، ومصانع الصابون والنسيج، ومعامل النشا والنشادر، .. وغيرها. [فقد كانت معظم مباني العاصمة وقف] ٢

وما يقال عن العصر المملوكي يقال عن العصر العثماني، فقد كان للوقف فيه دوراً مزدوجاً، الإنشائي والتسييري، إذ أن الوقف كان هو الذي يقيم المنشآت العمرانية المختلفة (جوامع، مدارس، حمامات، أسواق الخ)، ويقوم بتسييرها (من خلال منشآت أو أوقاف أخرى) لكي يحقق الوقف هدفه. وبهذا الشكل فقد كان للوقف دوراً كبيراً في نشوء وتطور المدن نظراً للمنشآت العمرانية الكثيرة التي أقامها في المدن الموجودة أو في مواقع جديدة [على الطرق المهمة التي تحولت مع الزمن إلى مدن جديدة] ٣

وما يؤكد حاجة الموقوف إلى الصرف عليه والعناية به من خلال الأوقاف التي كانت توقف لتدر دخلاً على الموقوف في الأصل، ما ذكر بأن جامع سنقر الذي أنشأه هذا

[١] قحف، منذر، مرجع سابق. ص ٣٦]

[٢] أمين، محمد محمد، مرجع سابق. ص ٢٥٧]

[٣] الأرنؤوط، محمد، مرجع سابق. ص ٣٥]

قيم الوقف مكونات العمارة

المنفعة

المتانة

الجمال

الاستدامة بيئة عمرانية

سليمة

الشمولية

الروحية

كثرة أنواع المباني
تحقيق الكفاءة الوظيفية
صيانة وحفظ المباني
إعادة بناء المباني
تحقيق الجمال الروحي
تحقيق الجمال المرئي
جوانب العلاقة النتيجة

٨

المملوكي وأنشأ فيه مكتباً للأيتام، وجعل فيه ماء للشاربين، وجعل فيه أيضاً دروساً للفقهاء كان هذا المسجد يؤدي دوره على أمثل وجه، ولكن لما حدثت الفتنة في الشام، وتوقفت الأوقاف التي كان قد أوقفها عليها، تعطل كل من الجامع والمدرسة، وتوقفت كل الأنشطة التي كانت موجودة فيه، ولم يبق إلا الصلاة في الجامع. وعلى خلاف ذلك المدرسة الصالحية التي أنشأها السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٧٢ هـ كانت عامرة، وكان ينفق عليها مما كان لها من أوقاف، وبقي المشايخ يتتأوبون على التدريس فيها حتى بعد سنة ٨٤٤ هـ بكثير [١]

وبجانب تنوع أغراض المباني كان هناك كثرة في أعداد المنشأ منها، حتى إن ابن ١٣٧٧ م) ذكر في عصره لما زار مصر "وأما المدارس - ٧٧٩ هـ / ١٣٠٤ - بطوطة (٧٠٤ بمصر فلا يحيط بها أحد لكثرتها" [٢]، أو ما ذكره القلقشندي من أنه بنى بها من المدارس "ما ملأ الأخطاط وشحنها" [٣]. كما يذكر أن من العوامل الأساسية التي أدت إلى الإكثار من المنشآت الدينية - في العصر المملوكي بالقاهرة - تلك الأوقاف التي كانت توقف عليها حتى تستمر في أداء رسالتها [٤]، فقد قدر ابن شاهين عدد المساجد بعاصمة سلطنة المماليك [٥] (القاهرة والفسطاط) بأكثر من ألف مسجد [٥]

كذلك في العصر الحديث، في مصر، كانت الأوقاف على المباني العامة ومنها الأزهر والذي أنشأ في العصر الفاطمي سنة (٣٥٩ هـ / ٩٧٠ م)، الشكل رقم (٤)، ومنها وقف يوسف أفندي صديق، والذي أنشأه في سنة ١٩١١ م وكانت مساحته ٢٣ فداناً، خصص حصة من ريعها لطلبة العلم بالأزهر. كما كانت وقفية الأميرة فاطمة إسماعيل من أهم الوقفيات التي ساهمت في نشأة الجامعة المصرية [٦]، حيث أوقفت مساحة قدرها ٦٧٤ فداناً من الأقطان الزراعية بمديرية الدقهلية ليصرف ريعها على الجامعة، إضافة إلى ستة أفدنة ببولاق الدكرور تبرعت بها لبناء دار الجامعة - في مقرها الحالي - كما قدمت مجوهرات قيمتها ١٨ ألف جنيه حسب أسعار سنة ١٩١٣ م ليقام بها البناء. وقد عبرت وقفية الأميرة فاطمة عن الرغبة الوطنية في توفير التعليم العالي بالبلاد عن طريق الجامعة المصرية وعن طريق [٧] البعثات العلمية إلى الخارج أيضاً، بشرط العودة والعمل في الجامعة المصرية [٧] ثانياً: تحقيق الكفاءة الوظيفية في المباني الموقوفة

يعد هذا الجانب من الجوانب المهمة في النظرية المعمارية، حيث أن المباني إن لم تنجح في أداء وظائفها بكفاءة عالية فسيكون هناك خلل يؤثر على فكرة تواجد المبني أصلاً، لا، حيث ينتفي الغرض من وجوده في هذه الحالة.

أضف إلى ذلك فإن وقف وحدات المنشأة المعمارية يحدد وظيفتها التي تقوم بها؛ مما [٨] يساعد على الاستغلال الأمثل لكل الوحدات كل حسب وظيفته التي صمم على أساسها [٨] وقد حقق الوقف هذا الجانب من جوانب النظرية المعمارية؛ حيث أن المنشآت الوقفية كان يتم تصميمها بشكل يناسب وظيفتها ويحقق للمستخدمين أعلى درجات الكفاءة الوظيفية.

[١] الخطيب، ياسين بن ناصر، أثر الوقف في نشر التعليم والثقافة، مؤتمر الأوقاف الأول في المملكة العربية السعودية، جامعة أم [القري، مكة المكرمة، ١٤٢٢ هـ. ص ٣١٤]

[٢] ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة (تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠ م. [ص ٣٧]

[٣] ٣٦٨ - ٣ [القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج ٣، القاهرة، ١٩١٩]

[٤] عثمان، محمد عبد الستار، نظرية الوظيفية بالعناصر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠٠٠ م. ص ١٠٤]

[٥] أمين، محمد محمد، مرجع سابق. ص ٢٤٥]

[٦] بدأت الجامعة المصرية كجامعة أهلية في عام ١٩٠٨ م، ثم تحولت إلى جامعة حكومية عام ١٩٢٣ م. [

[٧] غانم، إبراهيم البيومي، الأوقاف والسياسة في مصر، ط ١، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٧ م. ص ٢٦٦، ٢٦٤، ٢١٨]

[٨] عثمان، محمد عبد الستار، مرجع سابق. ص ١٢٦]

٩

فقد أوقف الخليفة الحاكم بأمر الله سنة ٤٠٠ هـ وقفية رصد فيها رباعاً تغل أمواً لا كثيرة خاصة بالأزهر وبعض مساجد القاهرة، وقد جاء فيها "فمن ذلك الجامع الأزهر بالقاهرة المحروسة المذكور في الإشهاد الخمس والثلثم ونصف السدس ونصف التسع .. يصرف

ذلك فيما فيه عماره له ومصلحة وهو من العين المعزى الوازن (الدنانير المعزية المضبوطة الوزن الشرعي) ألف دينار واحدة وسبعة وستون ديناراً ونصف دينار وثمان دينار". وقد عين في هذه الوقفية مرتب الخطيب ووقف ثمن جميع ما يلزم الجامع كل سنة "من حصر عيدانه ومضفورة وقناديل وبخور وشمع ومقداره نصف قنطار بالفلطلي (الرطل الفلطي يزن ١٤٠ درهماً) وما يلزم لكنس الجامع ونقل التراب وخياطة الحصر ومشاقة أي فتائل لسرج القناديل ومثونة النحاس والسلاسل والتنانير أي القناديل والقباب التي فوق سطح الجامع والسلب أو الحبال الليف ودلاء أدم أي جلد وخرق لمسح القناديل وقفاف للخدمة وقنب لتعليق القناديل ومكانس وأزيار فخار وزيت وقود وأرزاق الأئمة وعددهم ثلاثة والقومة أي الخدم وعددهم [١] أربعة والمؤذنين وعددهم خمسة عشر مؤذناً" [٢]

[منظور داخلي في الجامع الأزهر] ٢

[مسقط أقي للجامع الأزهر] ٣

الشكل رقم (٤). جامع الأزهر، مثال على أحد المباني التي حظيت بأوقاف

كثيرة في العصور القديمة وحتى العصر الحديث

كما يذكر "الساعاتي"، في هذا الصدد، ما كان عليه البيمارستان المنصوري من "تنظيم باهر وما وفره له واقفه من إمكانات لخدمة المرضى وراحتهم وعلاجهم وكيف أن خصص فيه مكاناً يلقي فيه رئيس الأطباء دروساً في الطب". فقد رتب السلطان فيه العقاقير والأطباء وسائر ما يحتاج إليه من به مرض من الأمراض، كما أفرد لكل طائفة من المرضى موضعاً فجعل أوابين المارستان الأربعة للمرضى بالحميات ونحوها، وأفرد قاعة للرمدي وقاعة [١] للجرحي وقاعة للنساء، ومواضع يخزن فيها، وجعل الماء يجري في كل هذه الأماكن [٢]

كما أن الوقف على المدارس قد تجاوز توفير المبنى المدرسي وإتاحة الكتب وتخصيص نفقات للطلاب إلى توفير الحبر والورق والطعام والكساء وغير ذلك مما يوفر لطلبة العلم كل

[١] الباشا، حسن، وآخرون، القاهرة، تاريخها، فنونه، آثارها، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، ١٩٧٠ م. ص ٤٥٨، ٤٥٧ [

www.cim.gov.eg/thumbnails.asp [٢] موقع آثار القاهرة الإسلامية على شبكة الإنترنت [

[٣] مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري في العصور الإسلامية المختلفة، دراسة تحليلية على [العاصمة القاهرة، ١٩٩٠ م، ص ٣٢

[٤] الساعاتي، يحي محمود بن جني، مرجع سابق. ص ٥٤، ٥٣ [

١٠

سبل الراحة حتى يتمكنوا من التحصيل دون أي عوائق مالية [١]. وما يؤكد على أهمية الأوقاف بالنسبة للمدارس واستمرارها في أداء وظائفها تلك العبارة التي ذكرها المقرئ في عند كلامه عن المدرسة الناصرية "ولولا ما يتناوله الفقهاء من المعلوم بها لخربت، فإن [٢] الكيمان ملاصقة لها بعد ما كان حولها أعمر موضع في الدنيا"

كما حددت وثائق الأوقاف كيفية استخدام المبنى المدرسي وفقاً لتنوع الوظيفة ووفقاً لطاقة استيعاب المبنى وعدد المستخدمين، ففي هذه الوثائق إشارات إلى تحديد أيوان معين من المدرسة لمذهب معين أو لدرس أو تفسير أو حديث أو طب، بجانب مواعيد الدراسة وانتهائها سواء كانت في الفترة الصباحية أو بعد الظهر، وكذلك العطلات التي كان محدداً لها المواسم والأعياد وأيام المطر المانع والرياح والسفر والحج، وإذا ما ازدحمت المدرسة بالدروس التي يقررها الواقف ويضيق المكان بها فإن الواقف يلجأ إلى الترتيب الزمني بمعنى أن يجعل درساً في الصباح وآخر في المساء، أو يجعل أياماً لدرس معين وأياماً [٣] أخرى لدرس آخر بحيث يستطيع المكان الواحد تحمل أكثر من درس دونما خلل [٣]

٢ قيمة الاستدامة .. وشرط تحقق المتانة في العمارة -٣-

إذا نظرنا إلى الشرط الثاني من الشروط التي يلزم أن تتحقق في العمارة وهو شرط المتانة، نجد أن قيمة الاستدامة في الوقف قد حققت هذا الجانب في المنشآت المعمارية بشكل واضح؛ فقد كانت الأوقاف التي توفى من أجل المؤسسات الخيرية يتم الصراف منها على عمارة المؤسسات الخيرية وصيانتها صيانة مستمرة تكفل لها قوة البناء وقدرته على مقاومة العوامل والظروف المؤثرة سلباً.

ومما يمكن قوله أن الوقف يكون ريعه صدقة جارية من أموال الواقف في حياته، ويستمر بقاءه بعد موته، كما تضمنت أحكام الوقف مشروعية تنميته واستثماره بزيادة المباني والأراضي الموقوفة عن طريق الشراء أو البيع. لذا فإنه في الوقت الذي نجد فيه المؤسسات الخيرية في الغرب تتوقف عن أداء رسالتها بعد وفاة مؤسسيها، نجد العكس من ذلك في المدن الإسلامية حيث تستمر هذه المؤسسات في أداء رسالتها بسبب الوقف، ذلك لأن مؤسس المؤسسة الخيرية كان يوقف عليها وفقاً يدر لها دخلاً لا مستمراً ضمن لها البقاء، مثل الأراضي الزراعية والدور والأسواق والحوانيت والحمامات والأفران، وغيرها مما كان يدر [٤] دخلاً لا منتظماً [٤]

ويمكن التعرف على طبيعة العلاقة بين قيمة الاستدامة وتحقيق المتانة في العمارة من خلال

البعدين التاليين:

أو لا: صيانة وحفظ المباني

تشير قيمة الاستدامة (الديمومة) أو ما تعرف في فقه الوقف "بالتأبيد" إلى أن الوقف المؤبد يتضاعف فيه الأجر أضغافاً كثيرة وتستمر خيراته طيلة وجوده، كما يجري أجره بإذن الله [الوقف ما استمر جريانه، فهو صدقة جارية مستمرة بشكلها الأبد □ م وصورتها الأكمل] ٥ إن فكرة الاستدامة (أو التأبيد) لا تتحقق إلا من خلال الوقف على الأرض، أما في المباني فلا يوجد فيها الاستمرارية (لأنها تنهدم مع الزمن لو تركت على حالتها) إلا بما فعله الواقفون من خلال إضافة عنصر جديد هو الإنفاق على الصيانة والترميم المستمرين، أضف

١ [الساعاتي، يحيى محمود بن جنيد، مرجع سابق. ص ٣٧]

٢ [عثمان، محمد عبد الستار، مرجع سابق. ص ١٢٧]

٣ [عثمان، محمد عبد الستار، مرجع سابق. ص ١٢٦، ١٢٥]

٤ [العودات، محمد، دور الوقف في تطور المدينة الإسلامية، مجلة المدينة العربية، العدد ٢٠٠٢، ١٠٨، منظمة المدن والعواصم العربية، [الكويت. ص ٤٧]

٥ [قحف، منذر، مرجع سابق. ص ٣٥]

١١

إلى ذلك ما كان يفعله الواقف من ضمان شرط الترميم والصيانة من أجل استمرار وديمومة [الأصل الثابت المنتج] ١

من هنا كان تضمين الوقف لتحقيق كونه صدقة جارية من أهم الدوافع في رغبات الواقفين، مما أدى إلى ظهور نوعين من المنشآت الوقفية وهما، المنشآت الخيرية (التي تقدم الخدمة المطلوبة)، والمنشآت المساعدة (التي تدر الدخل للمنشآت الخيرية). وقد كان الواقف حريصاً على ضمان نوع من التوازن بين المنشآت الخيرية والمنشآت المساعدة لكي لا يتعطل عمل الوقف بعد موته، فأى خلل في هذا التوازن، وبالتحديد أي تقصير أو تلاعب في عمل المنشآت المساعدة، يؤدي إلى نقص في الدخل، ومن ثم تراجع أو توقف العمل في المنشآت الخيرية مما ينتهي بالوقف إلى الخراب والاضمحلال، وضمن هذا التوازن لا يدخل فقط تغطية الخدمات المجانية التي تقدمها المنشآت الخيرية، بل يشمل الأمر أيضاً نفقات [ترميم هذه المنشآت من وقت لآخر لكي تصمد في وجه الزمن] ٢

كما أنه وفي العصر الأيوبي وكذا المملوكي - في القاهرة - كان الحرص الشديد على الأوقاف، لدرجة أن كل وثيقة وقفية نصت على أن يبدا ناظر الوقف بالصراف على عمارة الأعيان الموقوفة وترميمها أو لا ولو صرف معظم الربيع، حتى ولو أدى ذلك إلى قطع مرتبات المستحقين وأرباب الوظائف باستثناء المؤذنين والإمام والخطيب، وحتى ولو كان [المحتاج أولاد الواقف] ٣

كما أنه ومن دراسة الوثائق الوقفية يتضح دور الوقف في الحفاظ على المباني الموقوفة، بما تضمنته هذه الوثائق من وصف دقيق للمبنى يحدد شكله ومحتوياته حتى يبقى على حاله، ويعمل المباشرون على الوقف على الحفاظ عليه وإعادة ما يتهدم منه في إطار هذا الوصف الموثق، كما أنه في هذا الوصف حماية للمبنى من أي اعتداء على جزء منه، وفي ذلك ما يساعد على بقاء المنشأ واستمراره في أداء وظيفته التي أنشئ من أجلها بصورة طبيعية. ولم يكتف الواقفين بذلك بل عينوا من المهندسين المعماريين والمرخين والسباكين بمنشآتهم [ممن يقوموا بعملية الإصلاح الترميم لما يتعرض للهدم والفساد] ٤

وقد صدر في مصر في ١٨٨١ م أول قانون بتشكيل "لجنة لحفظ الآثار العربية القديمة" تحت رئاسة "ناظر عموم الأوقاف"، وكان من المهام الرئيسية لتلك اللجنة حسب نص القانون: "ملاحظة صيانة الآثار العربية وإخبار نظارة الأوقاف بالإصلاحات والممرات المقترضة إجراؤها"، وذلك حتى يمكن للنظارة أن تطابق الإصلاحات المراد عملها مع "شروط الواقفين" المنصوص عليها في حجج وظيفتهم بخصوص ما سيتم إصلاحه، على أن يكون تمويل ذلك من ريع الأوقاف التي تحت إشراف "نظارة الأوقاف". واستمر الأمر على [ما هو عليه من الاهتمام بالآثار الوقفية من خلال سن التشريعات التي تحافظ عليها] ٥

ولاشك في أنه قد كان للوقف دوراً كبيراً في بقاء هذه المنشآت شامخة معبرة عن حضارة المسلمين، تلك الحضارة التي بقيت حية راسخة رغم ما مر عليها من سنوات وتاريخ طويل. ولعل هذا ما دفع المستشرق الفرنسي "جاستون فيبيت" لأن يكتب في كتابه عن القاهرة: "إن حضارة المسلمين حضارة حية دائماً، لا تموت أبداً، لأنها حضارة قامت فوق الأرض، فهي ليست في المدن التي تندثر ويدفنها التراب ثم تقوم فوقها مدن أخرى ثانية [وثالثة، إنها حضارة بقيت دائماً عالية شامخة تعانق السماء]" ٦

١ [قحف، منذر، مرجع سابق. ص ٤٠، ٣٥]

٢ [الأرناؤوط، محمد، مرجع سابق. ص ٣٧]

٣ [عثمان، محمد عبد الستار، مرجع سابق. ص ٢٣٠]

- ٤ [عثمان، محمد عبد الستار، مرجع سابق. ص ٢٣١، ١٢٦]
 ٥ [غانم، إبراهيم البيومي، دور الأوقاف في خدمة الآثار والفنون الجميلة، مرجع سابق.]
 ٦ [الياسين، أنور، كنوز القاهرة .. مدينة الألف سنة والألف مئذنة، مجلة العربي، العدد ٤٧٦، وزارة الإعلام، الكويت، يوليو ١٩٩٨ م. ص ٤٢]
 ١٢

وبالرغم من أن الأوقاف لم يكن لها دوراً مباشراً في إنشاء هذا المتحف المفتوح، إلا أن الأوقاف التي أوقفت على المباني المختلفة والمتنوعة وحافظت عليها من خلال الصيانة الدورية، جعلت هذه المباني تقف في شوارع القاهرة القديمة، ليتعرف المشاهد الخارجي والمستخدم الداخلي لها على مدى عظم التاريخ الذي تعبر عنه هذه المباني ممثلة بذلك تاريخاً مكتوباً يحكي تاريخ فترات ازدهار الحضارة الإسلامية في عصورها المختلفة.

ثانياً: إعادة بناء المباني الموقوفة أو استبدالها

[أجاز الفقهاء الاستبدال في الوقف بأمرين] ١

الأول: هلاك الوقف أو تلف الموقوف، كأن تصير الأرض سبخة لا تنتج، أو الدار خربة لا تقوم على وظيفتها، أو نحو ذلك.

الثاني: أن يكون الاستبدال لما هو أنفع للوقف، كأن تكون العين الجديدة أكثر ريعاً من العين الموقوفة.

وبهذا تعد عملية إعادة بناء المباني الموقوفة أو استبدالها إضافة جديدة حققها الوقف في مجال النظرية المعمارية، حيث يتم بناء أو شراء عين جديدة حتى يتحقق مبدأ التأييد للعين الموقوفة، أو حتى التأييد لوظيفتها من خلال مبنى آخر يؤدي نفس الدور في حال هلاك أو تلف العين الأولى.

ولتحقيق ذلك فقد اشترط بعض الواقفين - وتلافياً لنفاذ الأموال والعجز عن الترميم - أن يحفظ باقي ريع الأوقاف لمدة ثلاث أو خمس سنوات لما يتوقع من الاحتياج إلى صرفه في العمارة والترميم، وإذا لم يستعمل الفائض في هذه المدة يقوم الناظر بشراء عقار أو حصة في عقار ويوقفه بنفس شروط الواقف [٢]. أو كان يحدث احتجاز لجزء من الإيرادات تحت عنوان مخصصات الاستهلاك يشتري مدير الوقف بمجموعها التراكمي عيناً وقيمة جديدة [٣]. مكان العين التي هلك بالاستعمال

٣ القيمة الروحية .. وشرط تحقق الجمال في العمارة - ٣

وقد تحقق شرط الجمال في العمارة الموقوفة من خلال ما يلي:

أو لا: تحقيق الجمال الروحي (المعنوي)

الجمال الروحي هو نوع من الجمال نستشعره من وظيفة المبنى، لكنه يخدم الجانب الروحي عند الإنسان من خلال الوظيفة التي تؤديها المباني، وفي الاعتقاد بأن هذا الجمال قد اختصت به المباني ذات الوظيفة الدينية أو الوظيفة الاجتماعية مثل التعليم والثقافة ودور الأيتام وغيرها، أو حتى يمكن القول أنه يستشعر من حكمة الوقف ومن الهدف من وقف المباني بشكل عام.

فقد عرف المسلمون - على سبيل المثال - مكانة المسجد ورسالته الخطيرة في كيان المجتمع الإسلامي، وحياة الأمة الروحية والعقلية، فأنزلوه من نفوسهم منزلة الإكبار والإجلال والإعظام، وأقاموا المساجد لله، على مثال فريد من الأبهة والعظمة والفخامة والجلال، وبذلوا في سبيل ذلك الكثير من الأموال التي أوقفوها من أجل حياة المسجد، ووظفوها لفائدة تعميره. فقد اتفق الفقهاء على صحة وقف المسجد متى توفرت شروطه، لأن [١] عشور، عبد الجليل عبد الرحمن، كتاب الوقف، ط ١، دار الأفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٠ م. ص ٥٥

[٢] عثمان، محمد عبد الستار، مرجع سابق. ص ٢٣١]

[٣] قحف، منذر، مرجع سابق. ص ٣٥]

١٣

المسجد مكان للعبادة، ومدرسة للعرفان، وموطن للثقافة، ودار للنظر في المصالح العامة، [بجانب وظيفته الاجتماعية في الإشراف على تجلية الروح وتهذيب النفس وترقية الوجدان] ١ ولم يقتصر دور الأوقاف على إنشاء وصيانة المؤسسات الخيرية، بل تعداها إلى جوانب اجتماعية أخرى - كما في حالة الوقف على المدارس - مثل رعاية أهل العلم من شبوخ ومدرسين وطلاب. فقد كانت بعض المدارس تقدم - حسب المكانة المالية للأوقاف التي ترعاها - الدفاتر والأقلام وحتى الطعام والكساء [٢]. بجانب ما ناله الأطفال الأيتام من رعاية من خلال "مكاتب الأيتام" التي انتشرت إنشاؤها ووقفت عليها الأوقاف، ومن ذلك ما نصت عليه إحدى حجج الأوقاف التي ترجع إلى عصر السلاطين المماليك بالقاهرة من أن "يكسى كل من الأيتام المذكورين في فصل الصيف قميصاً ولباساً وقيماً ونعلاً لا في رجليه، وفي الشتاء مثل ذلك، ويزداد في الشتاء جبة محشوة بالقطن .." [٣]

كما لعب الوقف دوراً كبيراً من خلال المدارس في نشر الثقافة في المجتمعات المحلية، إذ جعل المدارس مفتوحة لأدنى شرائح المجتمع [٤]

وكان هناك نوع من الرعاية والتربية الروحية التي يلقاها المرضى والمعتمدين في البيمارستانات الموقوفة، أنه خصص لكل واحد منهم مرافق يأخذه بالليل والرفق يصحبه في الحدائق بين الخضرة والزهور، ويسمعه ترتيلاً لا هادئاً من كتاب الله، وآي من الذكر الحكيم، [تطمئن به القلوب، وتهب النفوس] ٥

ففي البيمارستان المنصوري (مستشفى السلطان قلاوون) بالقاهرة، كان هناك خمسون من القراء يرتلون القرآن الكريم [٦]، هذا بجانب أنه كانت هناك فرقة للتمثيل الشعبي المضحك، يقوم الممثلون بذلك أمام المرضى الذين تشدد آلامهم، ويرتفع صراخهم فيسنون الألم ويأخذون في الضحك .. وكان فيه فرقة من المنشدين ذوي الأصوات الجميلة يرتلون [الأناسيد ليخففوا من آلام المرضى الذين يؤرقهم الألم، فيمنعهم من النوم] ٧ أضف إلى ذلك أن قيام الأمراء بضخ ما كان يحصلون عليه في السلطة أو التجارة في المجتمع على شكل خدمات ثقافية بواسطة الوقف، قد ساعد على إرساء نوع من السلام الاجتماعي عكس الوضع الحالي الذي أدى إلى تراكم الاحتقان الاجتماعي إلى حد الانفجار [٨]

ثانيًا: تحقيق الجمال المرئي (الحسي)

لما كان الأصل المعنوي للوقف هو أنه عمل من أعمال التقوى، وقربة إلى الله تعالى طمعًا في نيل ثوابه ودخول جنته، وبما أنه جل شأنه جميل يحب الجمال، وطيب لا يقبل إلا طيبًا، فقد اجتهد الواقفون على مر الزمن في أن تكون قرباتهم الوقفية المتمثلة في المنشآت الأثرية في غاية الإتقان وآية من آيات الجمال الفني والمعماري الأثري، وبخاصة أنها حملت أسماءهم - في كثير من الحالات - وخلدت ذكراهم، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر: الجامع الأزهر، وقبة السلطان الغوري، وسبيل محمد على بشارع المعز لدين الله، وشقبة النعمان بالخيامية (وهي كلها من أوقاف وآثار مدينة القاهرة الآن). والحاصل من ذلك أن

١ [بنعبد الله، محمد عبد العزيز، الوقف في الفكر الإسلامي، الجزء الأول، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٩٩٦ م، ص ٤٣١]

٢ [الأرناؤوط، محمد، مرجع سابق. ص ٨٠]

٣ [العودات، محمد، مرجع سابق. ص ٤٩]

٤ [الأرناؤوط، محمد، مرجع سابق. ص ٨٠]

٥ [بنعبد الله، محمد عبد العزيز، مرجع سابق، ص ١٥٦، ١٥٥]

٦ [إبراهيم، شحاتة عيسى، القاهرة، سلسلة الألف كتاب (١٨٤)، دار الهلال، القاهرة، (تاريخ النشر غير معروف). ص ١٣٧]

٧ [بنعبد الله، محمد عبد العزيز، مرجع سابق، ص ١٥٧، ١٥٦]

٨ [الأرناؤوط، محمد، مرجع سابق. ص ٨٥]

١٤

الوقف كان إحدى آليات تكوين الثروة الفنية والأثرية ومصدرًا من مصادر تراكمها عبر

[العصور في مختلف البقاع الإسلامية] ١

وتمتاز هذه المباني الموقوفة بخصوصية معمارية في الهيئة الخارجية التي تتميز بشكل ذي طابع خاص وتفاصيل معمارية خاصة، مثل جامع ومدرسة السلطان حسن، الشكل رقم ٥)، والتي يطلق عليها البعض هرم العمارة الإسلامية في مصر، لما احتوت عليه من دقة في التصميم وروعة في البناء مازالت شامخة حتى الآن. هذا بجانب التصميم المعماري للمباني من الداخل الذي توافق بشكل تام مع الظروف والوظائف التي كانت تؤديها هذه المباني، سواء مباني دينية أو تعليمية أو مكتبات أو مباني سكنية، أو بيمارستانات، أو وكالات، أو أسبلة، وغيرها. فقد كانت تتدلى من أسقف أو أوين جامع السلطان حسن مصابيح زجاجية، ومشكاوات مموهة بالمينا، وتنانير نحاسية، مصنوعة من النحاس المفرغ، والمكفت [بالذهب] ٢

[مدرسة الأشرف بارسباي] ٣ جامع ومدرسة السلطان حسن] ٤

الشكل رقم (٥). نماذج من المباني الموقوفة ويلاحظ الاهتمام بالتشكيل المعماري لها

مما يحقق مطلب الجمال الحسي (المرئي) بها

فمجموعة قلاوون (مدرسة وبيمارستان ومكتب وسبيل)، الشكل رقم (٦)، كانت تزخر بأنواع المواد التي استخدمت فيها استخدامًا فنيًا جميلاً، مثل الرخام الملون والمطعم بالصدف، والنحاس المفرغ، والأخشاب المذهبة، والزجاج الملون، والزخارف الجصية، والأحجار المحفورة، والفسيفساء المذهبة وغيرها، كما استخدمت في تجميلها الرسوم الهندسية والكتابات الزخرفية والزخرف النباتية [٥]. كما كانت واجهة المجموعة في مجموعها من أرواع المناظر في العمارة الإسلامية بالقاهرة، فحناياها المحمولة على أعمدة رخامية تحتضن شبابيك ذات أشكال هندسية بدیعة ويحلي الواجهة جميعاً طراز مشحون بآيات قرآنية وغيرها من الكتابات المثبتة لتاريخ البناء [٦]. يذكر ابن بطوطة عن بيمارستان قلاوون: "أما [المارستان الذي بين القصرين عند تربة الملك المنصور فيعجز الوصف عن محاسنه]" ٧

كما ذكر العلامة المؤرخ عبد الواحد المراكشي في كتابه "المعجب": "إن المارستان الذي بناه (وأوقفه) يعقوب المنصور بمراكش، لا يظن أن في الدنيا مثله، وذلك أنه تخير ساحة

[١] غانم، إبراهيم البيومي، دور الأوقاف في خدمة الآثار والفنون الجميلة، مرجع سابق. [

[٢] إبراهيم، شحاته عيسى، مرجع سابق. ص ١٤٤]

[٣] www.cim.gov.eg/thumbnails.asp موقع آثار القاهرة الإسلامية على شبكة الإنترنت [

[٤] www.cim.gov.eg/thumbnails.asp موقع آثار القاهرة الإسلامية على شبكة الإنترنت [

[٥] الباشا، حسن، وآخرون، مرجع سابق. ص ١٤٠]

[٦] إبراهيم، شحاته عيسى، مرجع سابق. ص ١٣٨]

[٧] ابن بطوطة، مرجع سابق. ص ٣٧]

١٥

فسيحة بأعدل موضع في البلد وأجرى فيه مياهها كثيرة تدور على جميع البيوت، زيادة على أربع برك في وسطه، إحداهما رخام أبيض، ثم أمر له من الفرش النفيسة من أنواع الصوف والكتان والحريير والأديم، وتعميره مما يزيد على الوصف، ويأتي فوق النعت مما احتوى عليه من نقوش وأشجار ومياه وبرك، وفرش نفيسة، وأدوية وأطعمة مجانية، وصيادلة لعمل الأدوية والأشربة والأدهان والأكحال، وتبادل ثياب الليل والنهار للمرضى، وتزويد هؤلاء [بالمعاش في فترة النقاها] ١

وبهذا تمثل المناطق التاريخية في المدن متحفاً مفتوحاً ومزاراً سياحياً يجذب الأنظار ويأخذ العقول إلى الماضي العريق، ويسمو بالروح والتحدى فوق عاتيات الزمن. فكل حجر ينطق بالتاريخ وكل منذنة تشهد لمن صعد عليها رافعاً صوت الحق، وكل سور يقف مؤكداً التحدي للأعداء الذين أرادوا أن ينالوا منها ومن ساكنيها، ولعل الدليل الأكبر على ذلك أن المشاهد لهذا المتحف المفتوح يضمنه السير في شوارع القاهرة القديمة – مثلاً – بينما هو لا يمل من قراءة التاريخ ولا من المتعة البصرية الممتزجة بعبق التاريخ.

[مدخل مجموعة قلاوون] ٢

[مسقط أفقي لمجموعة قلاوون] ٣

الشكل رقم (٦). مجموعة قلاوون، ومن ضمنها البيمارستان

تعد من النماذج الوقفية الهائلة التي حققت الجمال الروحي بجانب الكفاءة الوظيفية كما شهدت الوثائق الوقفية تنوعاً في المواد التي كتبت عليها نصوص الأوقاف بين الورق والجلد والخشب والحجر، وتزداد أهمية الأوقاف المنقوشة على الحجر أو جدران لما لها من عناصر فنية جمالية، وما فيها من معطيات مختلفة ومضامين، فهي تصلح مادة فنية من ناحية خطوط الكتابة وتناسقها وأشكالها وأبعادها [٤]. كما أنها تعد من الزخارف التي أباحها الدين الإسلامي، وهي النقش بالكتابة والبعد عن التصوير، فساعدت في تزيين جدران المباني وكانت عاملاً مهماً من عوامل تحقيق الجمال المرئي لها.

[١] بنعبد الله، محمد عبد العزيز، مرجع سابق. ص ١٦٠]

[٢] مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، مرجع سابق، ص ٩٥]

[٣] مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، مرجع سابق، ص ٩٨]

[٤] تدمري، عمر عبد السلام، الأوقاف المنقوشة على جدران مساجد طرابلس الشام ومدارسها ودلالاتها التاريخية في عصر المماليك، مجلة [أوقاف، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، العدد ١، السنة الأولى، نوفمبر ٢٠٠١ م، ص ص ٤٠، ٣٩، ١٦

أضف إلى ذلك فإن المحافظة على المباني وصيانتها وترميمها بشكل مستمر، كان من شأنه الحفاظ على النواحي الجمالية في هذه المباني.

٤ - الرؤية المعاصرة: تفعيل العلاقة بين قيم الوقف والنظرية المعمارية

تمهيد: جدوى الصياغة المعاصرة للعلاقة بين قيم الوقف والنظرية المعمارية

تنبع جدوى الحاجة إلى صياغة معاصرة من أنه بالفعل هناك قصوراً واضحاً في تحقيق الجوانب المختلفة للنظرية المعمارية في العمارة المعاصرة، كما سبق وأن ذكرنا، بعد أن كان الوقف عاملاً مهماً من عوامل تحقيق هذه الجوانب.

على أنه من المعلوم أن الدول – وفي فترات تحديثها – قد مرت بظروف أغلبها سياسية، غيرت من الحالة التي كانت عليها الأوقاف قديماً.

ففي مصر، على سبيل المثال، قام محمد علي – ومع نشأة الدولة الحديثة – بمصادرة

الأوقاف وضمها إلى أملاك الدولة، ومن هذه الأوقاف كانت أوقاف الأزهر، ففقد الأزهر [أكبر مورد مالي يعتمد عليه، وأصبح منذ ذلك الوقت عالة على الحكومات المتعاقبة] ١

وتغير نمط العلاقة بين المجتمع والدولة وتمدد سلطان هذه الدولة إلى مختلف جنبات الحياة الاجتماعية – وهي الميدان الأساسي لعمل نظام الوقف – فضلاً عن تدخلها بتغيير النظام الفقهي للوقف وإعادة صياغته عبر سلسلة من القوانين والتشريعات التي أصدرتها، وقد أفضت تلك التشريعات في نهاية المطاف إلى تجفيف منابع الاجتماعية لتجديد نظام الوقف،

[٢]. كما أدت إلى إدماجه بالكامل في الجهاز البيروقراطي الحكومي [٢].
أضف إلى ذلك ضعف الوعي عند المسلمين بأهمية الوقف وفوائده، نتيجة لمجموعة من الأسباب أهمها؛ طغيان النزعة المادية في المجتمعات المعاصرة، فأصبح الشخص يهتم جل اهتمامه بنفسه وأهله وأولاده ورفاهيتهم وإكمال دراساتهم [٣]. وتغيرت الحالة، فبعد أن كان الشخص يوقف الأوقاف ويجعل لأولاده منها نصيباً (الوقف الذري) لتأمين مستقبلهم، أصبح وضع الأموال للأولاد في البنوك هو البديل.

كما أن من أهمية البحث عن صيغ جديدة، العلم بأن الحكومات لا تستطيع أن تنشئ جامعات تستوعب كافة القادرين على مواصلة تعليمهم الجامعي مهما كانت مقدرات تلك الدول الاقتصادية والمادية. وهنا يبرز دور الوقف في سد حاجة المجتمع في هذا المجال، وذلك بأن توجه أموال الأوقاف وعوائدها لإنشاء الجامعات والمعاهد العليا الخيرية، تساهم في سد تطلعات الأمة وتساهم في زيادة الازدحام الديني والتقدم الحضاري الدنيوي [٤]، وكذلك الحال بالنسبة للمباني الخدمية العامة من مراكز صحية واجتماعية.

على أنه لا يجب أن يفهم أن البحث عن صيغ معاصرة يعني أن الوقف بحالته القديمة لا يمكن أن يقوم بدوره الآن، فنظام الوقف يصلح ولكن بعته من جديد في الأمة هو الذي يحتاج إلى صيغ تتوافق مع الأنظمة الخاصة بالدول الحديثة، مما يساهم في التوصل إلى أنظمة جديدة تساهم في بقاء فكر الوقف.

١ وقف النقود بين الرؤية الشرعية والتطورات المعاصرة - ٤

جدير بنا أن نتعرض هنا، وقبل طرح الرؤية المعاصرة وكيفية تفعيلها، أن نناقش هنا في تمهيد سريع عملية وقف النقود.

١. [١] بنعبد الله، محمد عبد العزيز، مرجع سابق، ص ٢٢٥]

[٢] غانم، إبراهيم البيومي، الأوقاف والسياسة في مصر، مرجع سابق. ص ٦٥]

[٣] العاني، عبد القادر داود عبد الله، العوامل التي أدت إلى تدهور الوقف عبر التاريخ الإسلامي، مؤتمر الأوقاف الأول في المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٢ هـ، ص ٢٢٤

[٤] حريري، عبد الله محمد أحمد، دور الوقف في دعم الجوانب التربوية والدينية والعلمية والثقافية، مؤتمر الأوقاف الأول في المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٢ هـ، ص ٢٠٢

١٧

ذكر البخاري أثر الزهري فيمن جعل ألف دينار في سبيل الله، ودفعها إلى غلام له تاجر يتجر فيها. ولعل كلام مالك عن وقف الدنانير والدرهم - وهو الذي يأخذ بعمل أهل المدينة [١]. ويهتم به - يؤكد حصول وقف النقود في المدينة في وقت مبكر [١]

إلا أنه في وقف النقود خلاف بين العلماء، منعه الجمهور، وأجاز به بعض الحنفية والمالكية [٢] والشافعية [٢]

وفي القرن الخامس عشر وخلال العصر العثماني حدث تطور مثير في موضوع قضية وقف النقود وانتقلت إلى الواقع التطبيقي، عندما أقر شيخ الإسلام المعروف "أبو السعود [٣]. أفندي" وقف النقود لأجل الأغراض التي يريدها الواقف لوقفه [٣]

٢ الصياغة المعاصرة .. فكرة الصناديق الوقفية في الكويت - ٤

أو لا: فكرة الصناديق الوقفية في الكويت

فكرة الصناديق الوقفية هي إحدى الصيغ المعاصرة التي أوجدتها الأمانة العامة للأوقاف بالكويت بغرض التوصل إلى صيغ ناجحة لإدارة أموال الأوقاف، وتقوم فكرتها على إنشاء إدارات متخصصة كل منها يقوم برعاية وخدمة غرض مجتمعي خدمي يدخل ضمن وجوه البر ذات النفع العام للمجتمع بكامله أو شريحة من شرائحه. وأنشطة إدارة كل صندوق تنحصر في الدعوة إلى وقف الأموال لصالح أغراضه، ثم استعمال إيراداته مما خصص له [٤]. من أوقاف ومن المصادر الأخرى في الإنفاق على ما حدد الصندوق من أغراض البر [٤] والصناديق الوقفية في الكويت والتابعة للأمانة العامة للأوقاف متنوعة وتشمل مجالات

مجتمعية عديدة، هي [٥]

- الصندوق الوقفي لرعاية المعوقين (١٩٩٤ م) (٥ ملايين دينار كويتي)
- الصندوق الوقفي للتنمية الصحية (١٩٩٥ م) (٥ ملايين دينار كويتي)
- الصندوق الوقفي للقرآن وعلومه (١٩٩٥ م) (٢ مليون دينار كويتي)
- الصندوق الوقفي لرعاية المساجد (١٩٩٥ م) (١٠ ملايين دينار كويتي)
- الصندوق الوقفي للثقافة والفكر (١٩٩٥ م) (١ مليون دينار كويتي)
- الصندوق الوقفي للتنمية العلمية (١٩٩٥ م) (٥ ملايين دينار كويتي)
- الصندوق الوقفي للمحافظة على البيئة (١٩٩٥ م) (١ مليون دينار كويتي)
- الصندوق الوقفي لرعاية الأسرة (١٩٩٥ م) (٢ مليون دينار كويتي)
- الصندوق الوقفي للأمانة العامة للأوقاف (١٩٩٥ م) (غير معروف)
- الصندوق الوقفي للتنمية المجتمعية (١٩٩٦ م) (غير معروف)

- صندوق الكويت الوقفي للتعاون الإسلامي (١٩٩٦ م) (غير معروف)
وتشير المعلومات إلى أن العامل من هذه الصناديق ويؤدي دوره الآن هو الثمانية
صناديق الأولى.

- ثانيًا: تقييم تجربة إنشاء الصناديق الوقفية في الكويت
لسنا هنا بصدد تقديم دراسة وافية عن جدوى تجربة الصناديق الوقفية في الكويت، كما أن
استعراض الجهود التي قامت بها هذه الصناديق كثير على مثل هذا البحث، ولكن يمكننا
القول ومن خلال ما أتيج لنا بأن هذه الصناديق هي فكرة ناجحة وتؤدي دورها بدرجة عالية
١ [قحف، منذر، مرجع سابق. ص ٨٧]
٢ [المصري، رفيق يونس، الأوقاف فقهاً واقتصاداً، ط ١، دار المكتبي، دمشق، ١٩٩٩ م. ص ٤٥]
٣ [الأرناؤوط، محمد، مرجع سابق. ص ٤١]
٤ [قحف، منذر، مرجع سابق. ص ٣٠٣، ٣٠١]
٥ [المصري، رفيق يونس، مرجع سابق. ص ١٣٣]
١٨

من الكفاءة، وقد حققت الكثير من الأهداف التي حددت لها، كما بلغت قيمة ما أنفق على
مشروعات خيرية مبالغ كثيرة (على سبيل المثال الصندوق الوقفي لرعاية المساجد أتفق ما
[يقرب من ثمانية مليون دينار كويتي]) ١

٣ تفعيل فكرة الصناديق الوقفية الكويتية لخدمة جوانب النظرية المعمارية - ٤
ومن هذه الفكرة يتكون لدى الباحث قناة بجدوى التجربة الكويتية ويعتبرها الباحث من
الصيغ المعاصرة، حيث أنها تراعي التغيرات والظروف الاجتماعية والاقتصادية المعاصرة
وفي نفس الوقت تحافظ على الأصالة الفقهية للمبادئ الشرعية التي قامت عليها فكرة الوقف
في الإسلام.

ويرى الباحث أنه يمكن الأخذ بهذه الفكرة في مجال تفعيل دور الوقف في الاهتمام
بمكونات العمارة، وينبع ذلك من أنه قد يكون من الصعب على غالبية الناس، أن يبنى الفرد
الواحد مستشفى أو جامعة بسبب ضخامة هذه المباني وصعوبة تجهيزها وكثرة النفقات
الجارية عليها، ولكنه يريد أن يوقف جزء من ماله لهذا الغرض، وعليه تكون فكرة
الصناديق الوقفية هي الأنسب.

وحتى تخدم هذه الفكرة المكونات المختلفة للعمارة فإن البحث يقترح إنشاء مجموعة من
(الصناديق الوقفية التي يخدم كل منهم مكون من مكونات العمارة أو أكثر، الشكل رقم (٧)
على النحو التالي:

أو لا: الصندوق الوقفي لإنشاء المباني الخدمية العامة

يتمثل هدف هذا الصندوق الوقفي في جمع التبرعات الوقفية لإنشاء المباني الخدمية العامة
وتجهيزها وصيانتها، ويمكن أن يخصص داخل هذا الصندوق صناديق وقفية فرعية على
أنواع المباني الخدمية مجملة أو على مبنى معين، على سبيل المثال:

١- الصندوق الوقفي لإنشاء وتجهيز وصيانة المراكز الصحية (المستشفيات والعيادات).
٢- الصندوق الوقفي لإنشاء وتجهيز وصيانة المباني التعليمية (جامعات، معاهد، مدارس،
دور الحضنة).

٣- الصندوق الوقفي لإنشاء وتجهيز وصيانة المباني الخدمية الاجتماعية (دور الأيتام
ودور كبار السن).

الشكل رقم (٧). تفعيل فكرة الصناديق الوقفية الكويتية لخدمة جوانب النظرية المعمارية

١ [لمزيد من المعلومات حول إنجازات الصناديق الوقفية في الكويت ينظر بتوسع: المطوع، إقبال عبد عبد العزيز، مشروع قانون الوقف]
٥٤٠ - الكويتي في إطار استثمار وتنمية الموارد الوقفية، ط ١، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، ٢٠٠١ م. ص ٤٩٧

المنفعة

المتانة

الجمال

الصندوق الوقفي لإنشاء وتجهيز

وصيانة المباني الخدمية العامة

الصندوق الوقفي للحفاظ على

التراث العمراني

الصندوق الوقفي للرعاية الاجتماعية

بيئة عمرانية

سليمة

الصناديق الوقفية

للمباني الخدمية

الفكرة المقترحة أنواع الصناديق مكونات العمارة النتيجة

ثانيًا: الصندوق الوقفي للحفاظ على التراث العمراني

يهدف هذا الصندوق إلى جمع التبرعات الوقفية التي تقوم على الحفاظ على التراث العمراني الذي يحكي التاريخ القديم والحديث.

ثالثًا: الصندوق الوقفي للرعاية الاجتماعية

ولعل في فكرة هذا الصندوق ما يعد بعنًا لدور الوقف في خدمة النواحي الروحية في المجتمع، بأن تمتد الرعاية الوقفية – كما كان في العصور القديمة – إلى حالة الموقوف عليهم اجتماعيًا، مثل إعطاء رواتب للمرضى أو طلاب العلم والأيتام ونحو ذلك. ويجمع لهذا الصندوق المال الذي يوقف لهذا الغرض من قبل الواقفين.

٤ عوامل تفعيل الوقف إجمالاً لا والصيغة المعاصرة تحديداً -٤

لكي يتحقق للصيغة المعاصرة النجاح المقصود، فإنه يلزم على الجانب المقابل تحقيق مجموعة من العوامل الفاعلة، والتي تساعد في تفعيل هذه الصيغة بجانب مساهمتها الأساسية في تفعيل دور الوقف بشكل عام. ومن أهم هذه العوامل:

أو لا: التوعية الدينية بأهمية الوقف

يقع على العلماء وأئمة المساجد دور كبير في تذكير الناس بمقاصد الوقف وأهدافه

والثواب العظيم الذي يمكن أن يجنيه الواقف من وقفه، وكذلك تذكير الناس بفوائده

[١]. الاجتماعية والعظيمة التي تؤدي إلى استقرار المجتمعات وترسيخ الأمن فيها]

كذلك فإن إعادة إحياء فكرة الوقف الذري أو الأهلي من شأنه أن يعمل على عودة الناس

إلى الوقف، فإن كان هذا النوع من الوقف يضمن للأولاد مستقبلهم، فإنه بذلك يتوافق مع فكر الأباء، ويجعلهم يحققون أغراضهم من خلال الوقف.

ثانيًا: بعث الثقة بين المؤسسات الوقفية والمجتمع

إن مؤسسة الأوقاف هي الإطار العام لتوليد الطاقة الإسلامية من جديد، حيث تتجدد في

جسم المجتمع الإسلامي أوقاف جديدة كما تتجدد الخلايا الحية في الكائن الحي، مع إعطائها

[٢]. بعدها الديني والثقافي والاجتماعي الذي يحتوي العصر الحديث بسائر أبعاده ومعطياته]

ويتطلب الأمر من الجهة التي تقوم على الصناديق الوقفية العمل الجاد الذي يعمل على

إعادة جسر الثقة بين الناس وبين إدارة هذه الصناديق، فهذا من أهم العوامل التي تشجع

الناس على إجراء الوقف، بعد أن أثبتت النظم الحالية للأوقاف عدم ثقة الناس في الجهات

القائمة على الأوقاف وبالتالي عزوف الناس عن الوقف.

ثالثًا: تطبيق النظم الناجحة في إدارة واستثمار أموال الوقف

[٣]. يشير بعض الباحثين إلى أن سوء إدارة الأوقاف قد أدى إلى تعطيل الوقف بل وإلغائه]

ولكي يعود الدور الريادي القيادي للأوقاف كما كان، فلا بد من الأخذ والعمل بالأسس

والأساليب والأدوات الإدارية الحديثة التي تساعد الأوقاف على العودة للمزيد من العطاء

[١] حريري، عبد الله محمد أحمد، دور الوقف في دعم الجوانب التربوية والدينية والعلمية والثقافية، مؤتمر الأوقاف الأول في المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٢ هـ، ص ١٩٤، ١٩٣

[٢]. بنعبد الله، محمد عبد العزيز، مرجع سابق، ص ٣٧]

[٣]. العاني، عبد القادر داود عبد الله، مرجع سابق، ص ٢٢٩]

٢٠

المثمر [١]، في مجال المباني ذات الوظائف الخدمية العامة وبالتالي في خدمة النظرية

المعمارية وتحقيق بيئة عمرانية سليمة من كافة الجوانب.

بجانب التأكيد على أهمية الاستثمار في الصياغة المعاصرة، حيث يعد ذلك عاملاً لا مهماً

من عوامل ضمان الاستمرارية للوقف، وتحقيق الفائدة المرجوة منه للواقف والمستفيد منه.

كما أن الطرح الحالي يتطلب مؤسسات وقفية مستقلة، لأن ذلك من شأنه أن يحفظ

الأوقاف بعيداً عن القرار السياسي والارتباط بظروف الدولة.

٥- الخلاصة

مما سبق تخلص الدراسة إلى النقاط التالية:

١- أن الوقف منظومة متكاملة ينطوي على مجموعة من القيم الخاصة التي جعلته يؤدي

دوره بكفاءة عالية في خدمة المكونات المختلفة للعمارة وفقاً للنظرية المعمارية، وهذه

القيم هي؛ الشمولية والاستمرارية والقيمة الروحية. حيث خدمت الشمولية مبدأ المنفعة،

والاستمرارية حققت متانة البناء، أما القيمة الروحية فقد حققت النواحي الجمالية في

العمارة.

٢- أن هذا الدور تاريخي وفاعل، حيث ساهم الوقف بشكل كبير ومؤثر في تحقيق بيئة

عمرانية سليمة من كافة النواحي المعمارية، وهو ما نفتقده في عمارتنا المعاصرة، من

حيث توفير المتطلبات الوظيفية وتحقيق متانة المباني وجمالها المعماري، والتي يرجع

البحث أحد أسبابها إلى غياب الوقف.

٣- أنه لما انصرف الناس عن الوقف تعطلت كثير من الأمور الاجتماعية التي كانت تخدم فئات المجتمع وخصوصاً الفئات المحتاجة، فغاب السلام الاجتماعي، والذي كان أهم سمات المجتمعات الإسلامية التي طبقت الوقف.

٤- أنه وعلى الرغم من أن الوقف يمكنه القيام بنفس الدور، إلا أن الظروف التي مر بها الوقف منذ نشأة الدول الحديثة بمنظوماتها السياسية والاقتصادية الخاصة، جعل من الضروري البحث عن صيغ جديدة للوقف تحقق أهدافه من ناحية وتتوافق مع الظروف المستجدة من ناحية أخرى. وقد تعرضت هذه الدراسة لفكرة الصناديق الوقفية الكويتية التي ثبتت فعاليتها بدرجة عالية.

٥- أضاف البحث للطرح الكويتي توسيع فكرة الصناديق الكويتية من خلال إنشاء صناديق وقفية خاصة ببناء وتجهيز وصيانة المباني، وصناديق وقفية خاصة بالحفاظ على التراث العمراني، وصناديق وقفية خاصة بتحقيق الرعاية الاجتماعية.

٦- تحتاج عملية بعث الوقف من جديد إلى توعية اجتماعية للناس بأهمية الوقف وتعريفهم بفكرة الوقف الذري (الأهلي)، كما تحتاج إلى تأكيد الثقة بين الأفراد والمؤسسات الوقفية، بجانب تطبيق النظم الناجحة في إدارة واستثمار أموال الوقف. وهي عوامل تساعد على تفعيل دور الوقف أساساً بجانب المساهمة في نجاح الأطروحات المعاصرة.

[١] الضحيان، عبد الرحمن، إدارة الأوقاف الإسلامية والتجربة السعودية، مؤتمر الأوقاف الأول في المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٢ هـ، ص ٩٢

٢١

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

- إبراهيم، شحاته عيسى، القاهرة، سلسلة الألف كتاب (١٨٤)، دار الهلال، القاهرة، (تاريخ النشر غير معروف).

- ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠ م.

- ابن خلدون، عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، ط ٥، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٢ م.

- أبو المكارم، محمد أمين، الوقف والموقوف عليه من زاوية فقهية واجتماعية واقعية، مجلة الواحة، العدد ٩.

- الأرنؤوط، محمد، دور الوقف في المجتمعات الإسلامية، ط ١، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٠ م.

- الباشا، حسن، وآخرون، القاهرة، تاريخها، فنونه، آثارها، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، ١٩٧٠ م.

- الخطيب، ياسين بن ناصر، أثر الوقف في نشر التعليم والثقافة، مؤتمر الأوقاف الأول في المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٢ هـ.

- الدسوقي، محمد، الوقف ودوره في تنمية المجتمع الإسلامي (القسم الأول)، سلسلة قضايا إسلامية، العدد ٦٤، وزارة الأوقاف، القاهرة، ٢٠٠٠ م.

- الرماني، زيد بن محمد البطالة. العمالة. العمارة، من منظور إسلامي، ط ١، دار طويق للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠١ م.

- الساعاتي، يحيى محمود بن جنيد، الوقف والمجتمع: نماذج وتطبيقات من التاريخ الإسلامي، سلسلة كتاب الرياض، العدد ٣٩، مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض، ١٩٩٧ م.

- الضحيان، عبد الرحمن، إدارة الأوقاف الإسلامية والتجربة السعودية، مؤتمر الأوقاف الأول في المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٢ هـ.

- الطاهر، حكم، نظريات العمارة والتصميم المعماري (١). دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٥ م.

- العاني، عبد القادر داود عبد الله، العوامل التي أدت إلى تدهور الوقف عبر التاريخ الإسلامي، مؤتمر الأوقاف الأول في المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٢ هـ.

- العودات، محمد، دور الوقف في تطور المدينة الإسلامية، مجلة المدينة العربية، العدد ١٠٨، منظمة المدن والعواصم العربية، الكويت، ٢٠٠٢ م.

- الفلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج ٣، القاهرة، ١٩١٩ م.

١٩٢٢ م.

- المصري، رفيق يونس، الأوقاف فقهاً واقتصاداً، ط ١، دار المكتبي، دمشق، ١٩٩٩ م.

- المطوع، إقبال عبد العزيز، مشروع قانون الوقف الكويتي في إطار استثمار وتنمية الموارد الوقفية، ط ١، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، ٢٠٠١ م.

- الهيتي، عبد الستار إبراهيم، الوقف ودوره في التنمية، البحث الفائز بجائزة مكتبة الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني الوقفية العالمية لعام ١٩٩٧ م، مركز البحوث والدراسات، قطر.

- الياسين، أنور، كنوز القاهرة .. مدينة الألف سنة والألف مئذنة، مجلة العربي، العدد ٤٧٦، وزارة الإعلام، الكويت، يوليو ١٩٩٨ م.

- إمام، محمد كمال الدين، الوصية والوقف في الإسلام مقاصد وقواعد، ط ١، منشأة المعارف بالإسكندرية، الإسكندرية، ١٩٩٩ م
- أمين، محمد محمد، ازدهار الأوقاف في عصر سلاطين المماليك، دراسة تاريخية وثائقية - نموذج مصر، مؤتمر الأوقاف الأول في المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٢ هـ.
- بنعيد الله، محمد عبد العزيز، الوقف في الفكر الإسلامي، الجزء الأول، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٩٩٦ م.
- تدمري، عمر عبد السلام، الأوقاف المنقوشة على جدران مساجد طرابلس الشام ومدارسها ودلالاتها التاريخية في عصر المماليك، مجلة أوقاف، العدد ١، السنة الأولى، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، نوفمبر ٢٠٠١ م.
- ٢٢
- حريري، عبد الله محمد أحمد، دور الوقف في دعم الجوانب التربوية والدينية والعلمية والثقافية، مؤتمر الأوقاف الأول في المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٢ هـ
- سابق، السيد، فقه السنة، ط ١٠، ج ٣، الفتح للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٩٣ م.
- سامي، عرفان، نظرية الوظيفية في العمارة، دار المعارف بمصر، ١٩٦٦ م.
- عثمان، محمد عبد الستار، نظرية الوظيفية بالعمائر الدينية المملوكية بالباقيّة بمدينة القاهرة، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠٠٠ م.
- عشور، عبد الجليل عبد الرحمن، كتاب الوقف، ط ١، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٠ م.
- غانم، إبراهيم البيومي، الأوقاف والسياسة في مصر، ط ١، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٨ م.
- غانم، إبراهيم البيومي، دور الأوقاف في خدمة الآثار والفنون الجميلة، الإسلام وقضايا العصر، (www.isalmonline.net).
- قحف، منذر، الوقف الإسلامي: تطوره، إدارته، تنميته، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٠ م.
- مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري في العصور الإسلامية المختلفة، دراسة تحليلية على العاصمة القاهرة، ١٩٩٠ م.
- www.clm.gov.eg/thumbnails.asp - موقع آثار القاهرة الإسلامية على شبكة الإنترنت